قد مات ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى بن عمران فلبث عن قومه أربعين ليلة؛ والله إني لأرجو أن أقطع أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه قد مات[١].

عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة أن عائشة أخبرته: أن أبا بكر أقبل على فَرَس من مسكنه بالسُّنْح[٢] حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حِبَرة[٣] فكشف عن وجهه ثم انكبَّ عليه وقبله وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي قد كتبت عليك فقد مِتَّها، قال: وحدثني[٤] أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس؛ فقال: اجلس يا عمر ثم قال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٤]؛ قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.

وأخبرني[٥] سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت حتى ما تُقِلُّني رِجْلاي وحتى أهويتُ إلى الأرض. انفرد بإخراجه البخاري[٦].

الباب السادس والعشرون: في ذكر قيامه ببيعة أبي بكر ومجادلته عنه

عن عبد الله قال: لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٦٦).
(٢) السُّنح: موضع بعوالي المدينة.
(٣) حِبَرة بوزن عِنَبة: الثوب المخطط.
(٤) هكذا رواه البخاري؛ والقائل هو ابن شهاب.
(٥) قوله: وأخبرني سعيد بن المسيب؛ القائل هو ابن شهاب الزهري.
(٦) رواه البخاري من حديث السيدة عائشة؛ وابن عباس؛ وابن عمر (المغازي: مرض النبي ﷺ: الفتح ٩/ ٤١١)، والبيهقي [السيرة النبوية لابن كثير ٤/ ٤٨٠].

أمير؛ فأتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار ألستم تَعلمون أنَّ رسول الله ﷺ قد أمرَ أبا بكر أن يَؤُمَّ الناس فأيكم تَطيب نَفْسُه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر[١].

عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال: كان من خبرنا حين توفي رسول الله ﷺ، أنَّ علياً والزبير ومَنْ كان معهما تَخلَّفُوا في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ وتَخَلَّفَتْ عنا الأنصار بأجمعها في سَقِيفة بني ساعدة؛ واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر؛ فقلتُ له: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار، فانطلقنا نؤمُّهم حتى لَقِينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذي صنع القوم؛ فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلتُ: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار؛ فقالا: لا عليكم أنْ لا تقربُوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين؛ فقلت: والله لنأتينَّهم فانطلقنا حتى جئناهم فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مُزَمَّل[٢]؛ فقلت: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عبادة؛ فقلت: ما له؟ فقالوا: وَجِع؛ فلمّا جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله وقال: أما بعد: فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام؛ وأنتم يا معشر المهاجرين رهطٌ مِنَّا وقد دفَّت دافَّة[٣] منكم تريدون أن تختزلونا[٤] من أصلنا وتحضنونا[٥] من الأمر؛ فلما سكتَ أردتُ أن أتكلم وقد كنت زَوَّرتُ مقالة[٦] قد أعجبتني أردتُ أنْ أقولها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحد[٧] وهو كان أحلم مني وأوْقَر؛ فقال أبو بكر: على رِسْلك؛ فكرهتُ أن أُغْضِبَه وكان أعلم مني وأوْقَر؛ والله ما ترك كلمة أعجبتني في تزويري

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٢١)، والحاكم وقال: صحيح؛ وأقره الذهبي [معرفة الصحابة ٣/ ٦٧]، وقال ابن كثير: ورواه النسائي؛ وعلي بن المديني؛ وقال: صحيح [السيرة النبوية ٤/ ٤٩٠]، وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى وفيه عاصم بن أبي النجود وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح [مجمع الزوائد: الخلافة: الخلفاء الأربعة ٥/ ١٨٣].

(٢) يقال: تزمل بثوبه، إذا التف به.

(٣) الدافَّة ـ بتشديد الفاء ـ: القوم يسيرون جماعة سيراً ليس بالشديد.

(٤) أي تقطعونا وتذهبوا بنا منفردين.

(٥) وتحضنونا: تخرجونا؛ يقال: حضنت الرجل عن الأمر أحضنه حضناً إذا نحيته عنه وانفردت به دونه.

(٦) زورت مقال: أي هيأت مقالة وأصلحتها.

(٧) الحِد ـ بالحاء المهملة ـ: الغضب.

إلا قالها في بديهته وأَفْضلَ حتى سكتَ؛ فقال: أما بعدُ: فما ذكرتم من خيرٍ فأنتم أهلُه ولم تَعرِف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسطُ العرب نسباً وداراً وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين أيُّهُما شِئْتُم؛ وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجرّاح، فلم أكره ممّا قاله غيرها، وكان والله أن أُقَدَّمَ فتُضْرَبَ عُنقي ـ لا يقربني ذلك إلى إثم ـ أحبَّ إلي أنْ أتأمَّرَ على قوم فيهم أبو بكر إلا أن تغير نفسي عند الموت، فقال قائل من الأنصار: ـ : أنا جُذَيْلُها المُحَكَّك[1] وعُذَيْقُها المُرَجَّب[2] منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فقلت لمالك: ما معنى قوله ـ: أنا جُذَيْلُها المُحَكَّك وعُذَيْقُها المُرَجَّب ـ قال: كأنه يقول: أنا داهيتُها؛ قال: فكثر اللغط وارتفعتْ الأصوات حتى خشيتُ الاختلافَ؛ فقلتُ: ابسط يدك يا أبا بكر؛ فبسط يده؛ وبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار[3].

الباب السابع والعشرون: في ذكر عهد أبي بكر إلى عمر واستخلافه إياه ووصيته إياه

عن إبراهيم النخعي قال: أول مَنْ وَلَّى أبو بكر شيئاً من أمور المسلمين عمرُ بن الخطاب وَلَّاه القضاء؛ وكان أولَ قاضٍ في الإسلام.

عن الحسن بن أبي الحسن قال: لما ثقُل أبو بكر واستبان له من نفسه جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ما قد تَرون ولا أظنني إلا مَيْت لما بي وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي وحلَّ عنكم عُقْدتي ورد عليكم أمركم؛ فأمِّروا عليكم من أحببتم فإنكم إنْ أمرتم في حياة مني كان أجدر ألا تختلفوا بعدي؛ فقاموا في ذلك وخلوا عليه فلم تستقم لهم؛ فرجعوا إليه فقالوا: يا خليفة رسول الله رأيك؛ قال: فلعلكم تختلفون؟ قالوا: لا؛ قال: فعليكم عهد الله على الرضى؟ قالوا: نعم؛ قال: فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده، فأرسل إلى عثمان بن عفان

(١) جُذَيْلها: تصغير جذل؛ وهو العود الذي ينصب للإبل الجربى لتحتك به؛ وهو تصغير تعظيم؛ أي أنا من يُسْتَشفى برأيه كما تَسْتَشفي الإبل الجربى بالاحتكاك بهذا العود.

(٢) العُذَيق: تصغير العذق؛ وهو النخلة؛ وهو تصغير تعظيم، والمرجَّب: من الرجبة وهو أن تعمِّد النخلة الكريمة ببناء من حجارة أو خشب إذا خيف عليها لطولها وكثرة حملها أن تقع.

(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ٥٥)، والبخاري: الحدود: رجم الحبلى (الفتح ١٥/ ١٦٣).

فقال: أشِرْ علي برجلٍ ووالله إنك عندي لها لأهل ومَوْضِع؛ فقال: عمر؛ فقال: اكتب؛ فكتب حتى انتهى إلى الاسم فغشي عليه ثم أفاق فقال: اكتب عمر.

عن الشعبي قال: بينا طلحة والزبير وعبد الرحمٰن بن عوف وسعد جلوساً عند أبي بكر في مرضه عُواداً؛ فقال أبو بكر: ابعثوا إلى عمر؛ فأتاه فدخل عليه فلما دخل أحَسَّتْ أَنْفُسُهم أنه خِيرتُه فتفرقوا عنه وخَرجوا وتركوهما فجلسوا في المسجد، وأرسلوا إلى علي ونفر معه فوجدوا علياً في حائط فتوافوا إليه واجتمعوا وقالوا: يا علي يا فلان إنَّ خليفة رسول الله مُستخلِفٌ عمر؛ وقد عَلِمَ وعَلِمَ الناسُ أنَّ إسلامنا كان قبل إسلام عمر؛ وفي عمر في التسلط على الناس ما فيه ولا سلطان له؛ فادخلوا بنا عليه نسأله فإنْ استعمل عمر كلمناه فيه وأخبرناه؛ ففعلوا، فقال: أبو بكر: اجمعوا إليَّ الناسَ أُخبركم من اخترتُ لكم؛ فخرجوا؛ فجمعوا الناس إلى المسجد؛ فأمرَ من يحمله إليهم حتى وضَعه على المنبر فقام فيهم باختيار عمر لهم ثم دخل، فاستأذنوا عليه فأذن لهم؛ فقالوا له: ماذا تقول لربك وقد استخلفتَ علينا عمر؟ فقال: أقول استخلفتُ عليهم خَيْرَ أهلك.

عن عاصم بن عدي قال: جمع أبو بكر الناس ـ وهو مريض ـ فأمر من يحمله إلى المنبر؛ فكانت آخر خطبة خطبها؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس احذروا الدنيا ولا تثقوا بها فإنها غَدَّارة وآثِروا الآخرة على الدنيا وأَحِبُّوها؛ فبِحُبِّ كل واحدة منهما تَبْغُض الآخر؛ وإنَّ هذا الأمر الذي هو أملك بنا لا يصلح آخره إلا بما صَلُح أوَّلُه؛ ولا يتحمله إلا أفضلكم مَقْدِرَة؛ وأمْلكُكُم لنفسه؛ أَشَدُّكم في حال الشِّدَّة؛ وأسْلَسُكُم في حال اللين؛ وأعملكم برأي ذوي الرأي؛ لا يتشاغل بما لا يعنيه؛ ولا يحزن لما ينزل به؛ ولا يستحي من التعلُّم؛ ولا يتحيَّر عند البديهة؛ قوي على الأمور لا يَخور لشيء منها حده بعدوان ولا تقصير؛ يرصد لما هو آت عتاده من الحذر والطاعة وهو عمر بن الخطاب، ثم نزل فدخل؛ فحمل الساخِطُ إمارة الراضي بها على الدخول معهم توصلاً.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عثمان يكتب وصية أبي بكر فأُغْمي على أبي بكر؛ فجعل عثمان يكتب فكتب: عمر؛ فلما أفاق قال: ما كتبتَ؟ قال: كتبتُ عمر؛ قال: كتبتَ الذي أردتُ أن آمرك به ولو كتبتَ نفسك لكنتَ لها أهلاً.

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كتب عثمان عهد الخليفة بعد أبي بكر وأمَرَه أن لا يُسَمِّي أحداً؛ وترك اسم الرجل؛ فأُغْمي على أبي بكر إغماءةً فأخذ عثمان العهد فكتب فيه اسم عمر، قال: فأفاق أبو بكر، فقال: أرني العهد؛ فإذا فيه اسم عمر، قال: من كتب هذا؟ فقال عثمان: أنا؛ فقال: رحمك الله وجزاك خيراً فوالله لو كتبتَ نَفْسَكَ لكنتَ لذلك أَهْلاً.

عن الواقدي عن أشياخه: أن أبا بكر لما اشتد به المرض دعا عبد الرحمٰن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب؟ فقال: ما سألتني عن أمر إلا وأنت أَعْلَمُ به مني، فقال أبو بكر: وإنْ، فقال عبد الرحمٰن: هو والله أَفْضَلُ من رأيك فيه، ثم دعا عثمان بن عفان فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب؟ فقال: أنت أَخْبَرُنا به، فقال: على ذلك يا أبا عبد الله، فقال عثمان: اللَّهُمَّ عِلْمي به أن سريرته خيرٌ من علانيته؛ وأنه ليس فينا مثلُه، فقال أبو بكر: يرحمك الله والله لو تَرَكْتُهُ ما عَدَوْتُك، وشاوَرَ بعده سعيد بن زيد وأُسَيْد بن الحُضَيْر وغيرهما من المهاجرين والأنصار، وسَمِعَ بعضُ أصحاب النبي ﷺ[1] فدخلوا على أبي بكر فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافِكَ عُمَرَ علينا وقد ترى غِلْظَتَه؟ فقال أبو بكر: أَجْلِسُوني؛ أبالله تُخَوِّفوني؟ خابَ مَنْ تَزَوَّدَ من أمركم بظُلم؛ أقول: اللَّهم استخلفتُ عليهم خيرَ أهلك؛ أبْلِغ عني ما قلتُ لك مَنْ وراءَك، ثم اضطجع ودعا عثمان بن عفان؛ فقال: اكتب:

[بسم الله الرحمٰن الرحيم

هذا ما عَهِدَ أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها؛ وعند أوَّل عهده بالآخرة داخلاً فيها؛ حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويَصْدُق الكاذب: إني استخلفتُ عليكم بعدي عمر بن الخطاب؛ فاسمعوا له وأطيعوا؛ وإني لم آلُ الله ورسولَه ودينَه ونفسي وإيَّاكم إلا خيراً؛ فإنْ عَدَلَ فذلك ظني به وعلمي فيه؛ وإن بدَّل فلكل امرىء ما اكتَسَبَ من الإثم؛ والخير أردتُ؛ ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٢٧].

(١) في طبقات ابن سعد ـ قبل قوله: فدخلوا ـ: (بدخول عبد الرحمٰن بن عوف وعثمان على أبي بكر وخَلْوتهما به) فدخلوا... إلخ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته].

ثم أمر بالكتاب فختمه وخرج به مختُوماً؛ فقال عثمان للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ قالوا: نعم، فبايعوا؛ ثم دعا أبو بكر عمر خالياً فأوصاه ثم خرج، فرفع أبو بكر يديه وقال: اللَّهمّ إني لمْ أُرِدْ بذلك إلا صلاحَهم وخِفْتُ عليهم الفِتْنة واجتهدتُ لهم رأيي؛ فولَّيتُ عليهم خَيْرَهم؛ وأحرصَهم على ما أرشَدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر؛ فاخلفني فيهم فهم عبادك[١].

عن قيس بن أبي حازم قال: خرج علينا عمر ومعه شديد مولى أبي بكر معه جريدة يُجْلِس بها الناس، فقال: يا أيها الناس اسمعوا قول خليفة رسول الله ﷺ قال: إني رضيت لكم عمر فبايعوه.

عن قيس قال: رأيت عمر وبيده عَسيب نخل وهو يُجْلِس الناس يقول: اسمعوا لقول خليفة رسول الله ﷺ، فجاء مولى لأبي بكر يقال له شَديد بصحيفة فقرأها على الناس؛ فقال: يقول أبو بكر: اسمعوا وأطيعوا لِمَنْ في هذه الصحيفة فوالله ما آلوتكم[٢]، قال قيس: فرأيت عمر بعد ذلك على المنبر.

عن أبي عبيدة قال: قال عبد الله: أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر في عمر، وصاحبة موسى حين قالت: استأجره، وصاحب يوسف[٣].

عن موسى الجهني قال: سمعت أبا بكر بن حفص يقول: قال أبو بكر لعائشة حين احتضر: يا بنية إنا ولينا أمْرَ المسلمين فلم نأخذ لهم ديناراً ودرهماً؛ ولكنَّا أكلنا من جَرِيش طعامهم في بطوننا؛ ولَبِسْنا من خَشِن ثيابهم على ظهورنا؛ وإنه لم يبق عندنا مِنْ فيء المسلمين قليلٌ ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة[٤]؛ فإذا مِتُّ فابعثي بهن إلى عمر، فجاءه الرسول وعنده عبد الرحمٰن بن عوف فبكى عمر حتى سالت دموعه على الأرض وقال: رحم الله أبا بكر لقد أتْعبَ مَنْ بعده؛ ارفَعْهُنَّ يا غلام. فقال عبد الرحمٰن:

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات من طريق الواقدي وهو ضعيف (٣/ ١٩٩).
(٢) ما آلوت: ما قصرت.
(٣) رواه ابن سعد؛ والحاكم [تاريخ الخلفاء ٨٢].
(٤) القطيفة: دثار له خمل؛ وجرد القطيفة: أي التي انجرد خملها وخَلَقتْ.

سبحان الله يا أمير المؤمنين! تَسْلُبُ عيال أبي بكر عبداً حبشياً وبعيراً ناضِحاً وجَرْدَ قطيفة ثمنها دراهم؟ فقال: ما تأمر؟ قال: آمر بردهن على عياله، قال: خرج أبو بكر عنهن عند الموت وأَردُّهُنَّ أنا إلى عياله؟ لا يكون ذلك والله أبداً؛ الموت أسرع من ذلك.

سياق وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما:

عن زيد أن أبا بكر قال لعمر: إني موصيك بوصية إنْ حفظتها؛ إنَّ لله حقاً بالنهار لا يَقْبَلُه في الليل؛ ولله حق بالليل لا يَقْبَلُه بالنهار؛ وإنها لا تُقبَل نافلة حتى تُؤدَّى فريضة؛ وإنّما ثقلتْ موازين مَنْ ثقلت موازينه يوم القيامة باتِّباعهم في الدنيا الحقَّ وثِقَلِه عليهم؛ وحُقَّ لميزان لا يُوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خَفَّتْ موازين مَنْ خَفَّتْ موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الباطل وخِفَّتِه عليهم؛ وحُقَّ لميزان لا يُوضع فيه إلا الباطل أن يَخِفَّ، وإن الله ﷻ ذكر أهل الجنة وصالح ما عملوا؛ وتجاوز عن سيئاتهم، وذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغباً راهباً، فلا يتمنَّى على الله غير الحق ولا يُلْقِي بيده إلى المهلكة، فإن حفظتَ قولي فلا يكونن غائبٌ أحبَّ إليك من الموت ولا بدَّ منه؛ وإن ضَيَّعتَ وصيتي فلا يكونن غائبٌ أبغضَ إليك من الموت؛ ولن تُعْجِزَه.

عن إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد الأيادي قال: لما حضر أبا بكر الوفاة بعث إلى عمر يستخلفه؛ فقال الناس: استخلف علينا فظاً غليظاً؛ لو قَدْ مَلَكَنا كان أفظَّ وأغْلظَ؛ فماذا تقول لربك إذا لقيتَه وقد استخلفتَ علينا عمر؟ فقال أبو بكر: أتخوفوني بربي؟ أقول: يا رب: أمَّرت عليهم خيرَ أهلك، ثم بعث إلى عمر فقال: إني موصيك بوصية إن حفظتها: إنَّ لله حقاً في الليل لا يقبله في النهار؛ ولله حقاً في النهار لا يقبله في الليل؛ وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدى فريضة؛ وإنما ثقلتْ موازين مَنْ ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحقَّ في الدنيا وثِقَلِه عليهم؛ وحُقَّ لميزان لا يُوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفَّتْ موازين من خَفَّتْ موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الباطل وخِفَّته عليهم؛ وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يَخِفَّ، إن الله ذكر أهل الجنة بصالح أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم، فيقول القائل: لا أبلُغ هؤلاء، وذكر أهل النار

بأسوأ ما عملوا به وردَّ عليهم صالح الذي عملوا؛ فيقول القائل: أنا أفضلُ من هؤلاء، وذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغباً راهباً، لا تتمنَّ على الله ﷻ غير الحق ولا تُلْق بيدك إلى التَّهلُكَة، فإنْ حفظتَ قولي هذا لم يكن غائبٌ أحبَّ إليكَ من الموت؛ ولا بدَّ لك منه؛ وإنْ أنت ضَيَّعْتَ قولي لم يكن غائبٌ أبْغضَ إليك من الموت؛ ولن تُعْجِزَه.

عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: سمعت أبا بكر بن سالم قال: لما حضر أبو بكر الموت أوصى:

[بسم الله الرحمٰن الرحيم

هذا عهد من أبي بكر الصديق عند آخر عهده بالدنيا خارجاً منها؛ وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها؛ حيث يؤمن الكافر ويَتَّقِي الفاجرُ ويَصْدُقُ الكاذب: إني استخلفتُ من بعدي عمر بن الخطاب؛ فإن قصد وعدل فذاك ظني به وإن جار وبدَّل فالخَير أردتُ؛ ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٢٧]].

ثم بعث إلى عمر فدعاه فقال: يا عمر؛ أبْغضَك مُبْغِضٌ وأحبَّكَ مُحِبٌّ، وقد يُبْغَضُ الخيرُ ويُحَبُّ الشرُّ قال: فلا حاجة لي فيها؛ قال: ولكن لها بك حاجة، قد رأيتَ رسول الله ﷺ وصَحِبْتَه؛ ورأيتَ إثرته أنفسنا على نفسه؛ حتى إنْ كنا لَنُهدي لأهله فَضْل ما يأتينا منه؛ ورأيتني وصحبتني وإنَّما اتبعتُ أثر من كان قبلي؛ والله ما نِمْتُ فَحَلِمْتُ؛ ولا شبهتُ فتوهتُ؛ وإني على طريقي ما زِغْتُ؛ تعلَّم يا عمر؛ إن لله حقاً في الليل لا يقبله في النهار؛ وحقاً في النهار لا يقبله في الليل؛ وإنما ثقلتْ موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق؛ وحُقَّ لميزان لا يكون فيه إلا الحق أنْ يَثْقُل، وإنما خَفَّتْ موازين من خَفَّتْ موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطلَ؛ وحُقَّ لميزان لا يكون فيه إلا الباطلُ أن يخفَّ، إنَّ أوَّلَ من أحذرك نَفسَكَ وأُحذِّرُكَ الناسَ فإنهم قد طمَحتْ أبصارُهم؛ وانْفَتَحَتْ أجوافُهم؛ وإنَّ لهم لحيرة عن ذُلة تكون؛ وإياك أنْ تكونَه؛ وإنهم لن يزالوا خائفين لك فَرِقِينَ منك ما خِفْتَ من الله وفَرِقْتَه، وهذه وصيتي؛ وأقرأ عليك السلام.

الباب الثامن والعشرون: في ذكر ابتداء خلافته رضي الله عنه

عن محمد بن سعد قال: قال لي حمزة بن عمر: توفي أبو بكر رضي الله عنه مساء ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة؛ فاستقبل عمر بخلافته يوم الثلاثاء صبيحة موت أبي بكر عن جامع بن شَدَّاد عن أبيه قال: كان أولُ كلام تكلم به عمر حين صعد إلى المنبر:

اللَّهم إني شَدِيدٌ فَلَيِّنِي؛ وإني ضَعيفٌ فقوني؛ وإني بخيل فَسَخِنِي.

قال ابن سعد: وقال القاسم بن محمد: قال عمر: لو علمت أن أحداً من الناس أقوى على هذا الأمر مني لكنت أمَّرتُه؛ فتضربُ عُنقي أحبَّ إليَّ من أن أليَه.

عن يحيى بن معين[1] ـ وسمعته يقول ـ: كان شريح[2] قاضي عمر بن الخطاب، وكان عبد الله بن مسعود على بيت المال، وقال نافع: استعمل عمر زيداً على القضاء وفرض له رزقاً.

الباب التاسع والعشرون: في ذكر اجتماعهم على تسميته بأمير المؤمنين

عن محمد بن سعد قال: قالوا: لما مات أبو بكر وكان يُدعى خليفة رسول الله قيل لعمر: خليفة خليفة رسول الله؛ فقال المسلمون: فمن جاء بعدك سُمِّي خليفة خليفة خليفة رسول الله فيطول هذا ولكن اجتمعوا على اسم يُدْعى به الخليفة ويُدْعى به مَنْ بعده من الخلفاء، فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: نحنُ المؤمنون وعمر أميرُنا؛ فدعي أمير المؤمنين، فهو أوَّلُ من سُمِّيَ بذلك.

عن ابن شهاب: أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي

---

(١) هو يحيى بن معين بن عون بن زياد المري بالولاء؛ قال ابن حجر: هو إمام الجرح والتعديل وقال أحمد: أعلمنا بالرجال، توفي سنة ٢٣٣ هجرية.

(٢) هو شُريح بن الحارث من أشهر القضاة والفقهاء في صدر الإسلام؛ ولي قضاء الكوفة زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم، توفي بالكوفة سنة ٧٨ هجرية.

حَنْتَمَة[١]: لم كان أبو بكر يكتبُ من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ ثم كان عمر يكتب بعده: من عمر بن الخطاب خليفة أبي بكر؟ فمَنْ أول من كتب أمير المؤمنين؟ فقال: حدثتني جدَّتي الشِّفَاء ـ وكانت من المهاجرات الأُوَل؛ وكان عمر إذا دخل السوق دخل عليها ـ قالتْ: كتب عمر بن الخطاب إلى عامل العراق أن ابعثْ إليَّ برجلين جَلْدَيْن نبيلين أسألهما عن العراق وأهلِهِ؛ فبعث إليه صاحب العراق بلبيد بن ربيعة وعديِّ بن حاتم؛ فقَدِمَا المدينة فأناخا راحلتهما بفَناء المسجد ثم دخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص فقالا له: يا عمرو استأذن لنا على أمير المؤمنين عمر، فوَثَبَ عمرو بن العاص فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: ما بدا لك في هذا الاسم يا ابن العاص؟ لَتَخْرُجَنَّ مما قلت، قال: نعم قَدِمَ لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم فقالا لي: استأذن لنا أمير المؤمنين؛ فقلت: أنتما والله أصبتُما اسمه؛ وإنه الأمير ونحن المؤمنون، فجرى الكتاب من ذلك اليوم[٢].

وقال الضحاك: قال عمر: أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فهو سمّى نفسه.

الباب الثلاثون: في ذكر ما خص به في ولايته مما لم يسبق إليه

عن ميمون بن مهران قال: رفع إلى عمر صك محله في شعبان؛ فقال عمر: وأي شعبان هو؟ الذي مضى؛ أو الذي هو آت؛ أو الذي نحن فيه؟ ثم جمع أصحاب رسول الله ﷺ؛ فقال قائل اكتبوا على تاريخ الروم؛ فقيل له إنه يطول فإنهم يكتبون من عهد ذي القرنين، وقال قائل: اكتبوا على تاريخ الفرس؛ كلما قام ملك طرح ما كان قبله، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة؛ فوجدوه قد أقام بها عشر سنين فكتب أول التاريخ على هجرة رسول الله ﷺ.

---

(١) الصواب: ابن أبي حَثْمَة [تقريب التهذيب لابن حجر].

(٢) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح [مجمع الزوائد: فضل عمر ٩/ ٦١]، والحاكم [معرفة الصحابة ٣/ ٨١] وقال الذهبي: صحيح.

عن عثمان بن عبد الله قال: سمعت سعيد بن المسيب قال: جمع عمر بن الخطاب المهاجرين والأنصار فقال: متى نكتب التاريخ؟ فقال علي بن أبي طالب: منذ خرج النبي ﷺ من أرض الشرك - يعني يوم هاجر - قال: فكتب ذلك عمر رضي الله عنه.

عن ابن المسيب قال: أول من كتب التاريخ عمر؛ لسنتين ونصف من خلافته فكتبه لست عشرة من المحرم بمشورة من علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

قال محمد بن عمر بن أبي الزناد عن أبيه قال: استشار عمر في التاريخ؛ فأجمعوا على الهجرة.

عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه قال: كان مقام إبراهيم لاصقاً بالكعبة حتى كان زمن عمر بن الخطاب فقال عمر: إني لأعلم ما كان موضعه هاهنا ولكنَّ قريشاً خافت عليه من السيل فوضعته هذا الموضع فلو أني أعلم موضعه الأول لأعدته فيه؛ فقال رجل من آل عائذ بن عبيد الله بن عمر بن مخزوم: أنا والله يا أمير المؤمنين أعلمُ مَوْضِعَه الأول كنت لما حَوَّلته قريشٌ أخذتُ قَدْرَ موضعه الأول بحبلٍ وضعتُ طرفَه عند رُكْنِ البيت الأول أو الركن أو الباب ثم عقدتُ في وسطه عند موضع المقام؛ فعندي ذلك الحبل، فدعا عمر بالحبل فقدروا به فلما عرفوا موضعه الأول أعاده عمر فيه قال عمر: إن الله ﷻ يقول: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢٥].

عن محمد بن سعد قال: قالوا: إن أول من سمي بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وإنه أول من كتب التاريخ في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة؛ وكتبه من هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة.

وهو أول من جمع القرآن في الصحف.

وهو أول من سن قيام رمضان.

وهو أول من جمع الناس على قيام رمضان؛ وكتب به إلى البلدان وجعل بالمدينة قارئين: قارئاً يصلي بالرجال؛ وقارئاً يصلي بالنساء.

وهو أول من ضرب في الخمر ثمانين.

وأحرق بَيت رُوَيْشِد الثقفي وكان حانوتاً، يعني نباذاً.

وهو أول من عَسَّ[١] في عمله بالمدينة؛ وحمل الدِّرة وأدَّبَ بها؛ وقيل بعده: لدرة عمر أهيب من سيوفكم.

وهو أول من فتح الفتوح: فتح العراق كله السواد والجبال وأذربيجان وكور[٢] البصرة وأرضها، وكور الأهواز وفارس، وكور الشام كلها ما خلا أجنادين فإنها فتحت في خلافة أبي بكر، وفتح عمر كُور الجزيرة والموصل ومصر والاسكندرية؛ وقُتِلَ وخيله على الري وقد فتحوا عامتها.

وهو أول من مسح السواد وأرض الجبل ووضع الخراج على الأرض والجزية على جماجم أهل الذمة فيما فتح من البلدان؛ فوضع على الغني ثمانية وأربعين درهماً؛ وعلى الوسط أربعاً وعشرين؛ وعلى الفقير اثني عشر؛ وقال: لا يُعْوِزُ رجلاً منهم درهم في الشهر، فبلغ خراج السواد والجبل على عهد عمر ألف ألف وعشرين ألف ألف واف[٣]؛ والواف: درهم ودانقين ونصف.

وهو أول من مصر الأمصار والبصرة والكوفة والجزيرة والشام ومصر والموصل وأنزلها العرب وخط البصرة والكوفة.

وهو أول من استقضى القضاة في الأمصار.

وهو أول من دوّن الدواوين وكتب الناس على قبائلهم، وفرض لأهل بدر وفضَّلهم على غيرهم وفرض للمسلمين على أقدارهم وتقدمهم في الإسلام.

وهو أول من حمل الطعام على السفن من مصر في البحر حتى ورد أنجار[٤]، ثم يحمله من أنجار إلى المدينة.

وقد قاسم عمر غير واحد ماله إذ عزله؛ منهم سعد بن أبي وقاص

---

(١) عسَّ: طاف بالليل.
(٢) الكور: جمع كورة وهي المدينة والصقع.
(٣) مئة ألف ألف: طبقات ابن سعد.
(٤) في ابن سعد: الجار.

وأبي هريرة، وكان يستعمل قوماً ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل؛ وقال: أكره أن أدنس هؤلاء بالعمل.

وهدم مسجد رسول الله ﷺ وزاد فيه وأدخل دار العباس فيما زاد.

وهو الذي أخرج اليهود من الحجاز؛ وأجلاهم من جزيرة العرب إلى الشام.

وحضر فتح بيت المقدس.

واستعمل أول سنة ولي على الحج عبد الرحمٰن بن عوف فحج بالناس؛ ثم لم يزل عمر يحج بالناس خلافته كلها؛ فحج بهم عشر سنين وحج بأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها؛ واعتمر في خلافته ثلاث مرات، وأخَّر المقام إلى موضعه اليوم وكان ملصقاً بالبيت[١].

وقال عبيد الله بن إبراهيم: وألقى الحصى في مسجد رسول الله، وكان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم، فأمر عمر بالحصى فجيء به من العقيق فبسط في مسجد رسول الله ﷺ.

عن مصعب بن سعد أن عمر أول من فرض الأعطية: فرض لأهل بدر والمهاجرين والأنصار ستة آلاف[٢]، وفرض لأزواج النبي ﷺ ففضَّل عليهم عائشة فرض لها اثني عشر ألفاً ولسائرهن عشرة آلاف عشرة آلاف غير جويرية وصفية فرض لهما ستة آلاف، وفرض للمهاجرات الأول أسماء بنت عميس؛ وأسماء بنت أبي بكر؛ وأم عبد الله بن مسعود ألفاً ألفاً.

عن سلمة بن عروة عن أبيه قال: أول من بطح المسجد ـ يعني مسجد رسول الله ﷺ ـ عمر بن الخطاب وقال: ابطحوا من الوادي المبارك ـ يعني العقيق ـ.

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات قال: أخبرنا عارم بن الفضل عن حماد بن سلمة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن الربيع بن زياد الحارثي (٣/ ٢٨٠).

(٢) روى البخاري عن عمر رضي الله عنه أنه فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف [الفضائل: مناقب عثمان (الفتح ٨/ ٩٢٥٤)، وروى البخاري عن قيس بن أبي حازم: كان عطاء البدريين خمسة آلاف خمسة آلاف.